قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	أ
شكر و تقدير	ب
المستخلص	ج
Abstract	د
قائمة المحتويات	هـ - و
المقدمة	10-1
التمهيد	44-12
أولا: جغرافية بلاد ما وراء النهر وتركستان	29-12
1- إقليم بلاد ما وراء النهر	20-12
2– إقليم تركستان	29-21
ثانيا : نبذة تاريخية عن تاريخ بلاد ما وراء النهر و تركستان في ظل الحكم الإسلامي قبل قيام دولة القراخطا	44-29
الفصل الأول : قيام دولة القراخطا	80-55
أولا: التعريف بالقراخطا	49-46
ثانيا:الأوضاع السياسية و الثقافية للخطا قبل قيام دولة القراخطا	53-49
ثالثا:علاقة الخطا مع الدولة الإسلامية قبل قيام دولة القراخطا	60-53
رابعا: الأوضاع السياسية لأهم القوى الإقليمية قبل قيام دولة القراخطا	69-60
1- الصين	61-60
2- الجين	61
3- الأيغور	62
4- العالم الإسلامي	69-62
أ- الدولة السلجوقية	66-62
ب - الدولة القراخانية	69-66
خامسا:التعريف بشخصية يلو داشي مؤسس دولة القراخطا	72-69
سادسا: وصف رحلة يلو داشي إلى تركستان	75-72
سابعا : تأسيس دولة القراخطا	80-75
الفصل الثاني :علاقات دولة القراخطا السياسية بالقوى الإسلامية المجاورة	129-81
العلاقات السياسية بين دولة القراخطا و السلاجقة	106-82
موقف الدولة السلجوقية من قيام دولة القراخطا	90-82
مقدمات الاصطدام بين السلاجقة و القراخطا	94-90
معركة قطوان	100-94
دور القراخطا في سقوط سلاجقة خراسان	106-100

العلاقات السياسية بين دولة القراخطا و الدولة الخوارزمية	120-106
العلاقات السياسية بين دولة القراخطا و الدولة الغورية	129-121
الفصل الثالث : سقوط دولة القراخطا	163 -130
العوامل الداخلية	136-131
العوامل الخارجية	163-136
1- حروبهم مع السلطان علاء الدين محمد	148-136
أ ـ استعادة علاء الدين محمد بلاد ما وراء النهر	144-136
ب ـ الأوضاع السياسية لبلاد ما وراء النهر في ظل الحكم الخوارزمي	148-144
2 ـ حروبهم مع النيمان	156 -148
أ ـ التعريف بالنيمان	150-148
ب ـ استيلاء كوشلوك خان على تركستان	156-150
3 ـ اجتياح جنكيز خان لدولة القراخطا و إسقاطها	163-156
أ ـ سقوط تركستان في أيدي المغول	158-156
ب ـ اجتياح المغول لبلاد ما وراء النهر	163-158
الفصل الرابع : المظاهر الحضارية في بلاد تركستان و ما وراء النهر في ظل حكم دولة القراخطا	190-164
أولا الأوضاع الإدارية	168-165
ثانيا : الأوضاع الاجتماعية	173 -168
ثالثا : الأوضاع الاقتصادية	176 -174
رابعا : الأوضاع الثقافية	180-177
خامسًا : الأوضاع الدينية	190 -181
الخاتمة	197 -191
اللواحق	
قائمة المصادر و المراجع	223-200
الملاحق	
الرسائل	228-225
الجداول	235- 229
الخرائط	256-236
الصور	260-257
Summary	V - I

المقدمة

كان مشرق العالم الإسلامي في أواخر خلافة الدولة العباسية مفككًا وفي حالة من الفوضى والاضطراب السياسيين، وجاء ذلك التفكك في هذا الجزء من العالم الإسلامي نتيجةً حتميةً لتمزق السلطنة السلجوقية بعد وفاة سلطانها جلال الدين ملك شاه، مما أدى إلى نشوء دويلاتٍ عدة على أنقاض هذه السلطنة، فأصبحت كلٌّ واحدة منها مستقلة بشؤونها دون أن تخضع لسلطةٍ عُليا، و كانت تلك الدويلات تعيش في صراعات وحروب داخلية فيما بينها لا تكاد تنتهي واحدة حتى تبدأ الأخرى .

ويزداد الوضع سوءًا في أقصى المشرق الإسلامي (بلاد ما وراء النهر وتركستان) تلك المنطقة الحساسة التي لا تحتمل أي ضعف في جبهتها الإسلامية؛ لكونها مناطق ثغرية تحمي الخلافة الإسلامية من اعتداءات القبائل الوثنية المتبربرة التي تقع خلفها وتتحين الفرصة لمهاجمتها، ومن المؤسف أنَّ حكام المسلمين لم يعوا خطورة الموقف، حيث شهدت بلاد تركستان وبلاد ما وراء النهر في القرنيين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين صراعات دامية بين القوى الإسلامية المتنافسة المتمثلة في سلاجقة خراسان والقراخانيين والدولة الغورية والقوة الناشئة الخوارزمية، مما انعكس سلبًا على مدى وحدة المنطقة واستقرارها، وهيَّأ الفرصة لأعدائها في الانقضاض عليها، وهذا ما حدث فعلا حيث تعرضت الأراضي الإسلامية في تلك البقعة لهجوم شرس من إحدى القبائل المغولية التنغوسية التي تُدعى القراخطا، فتمكنوا من إقامة دولة لهم مستغلين مرحلة الضعف التي كان يمرُّ بها المشرق الإسلامي عامة وبلاد ما وراء النهر وتركستان خاصة، وعلى الرغم من قصر عمر هذه الدولة إلا أنها أدت دورًا بالغ الأهمية في تشكيل التاريخ السياسي لعدد من الأقطار الشرقية الإسلامية، حيث تمكنت من فرض هويتها السياسية في المنطقة مستغلة مرحلة الضعف الذي كان يعانيه المشرق الإسلامي في تلك الفترة .

و**تهدف** هذه الدراسة إلى تقديم دراسة مستقلة لتاريخ القراخطا في المشرق الإسلامي بجانبيها السياسي والحضاري، والتعريف بقبائل القراخطا، والتعرض لأوضاعها السياسية والثقافية قبيل ظهورهم في المشرق الإسلامي، وتتبع جذور علاقاتهم بالدولة الإسلامية قبيل قيام دولتهم، والكشف عن الدوافع الحقيقية لهجرة قبائل القراخطا إلى تركستان، واستقصاء العوامل والظروف التي هيَّأت لهم الظروف المناسبة في تثبيت دعائم دولتهم، والكشف عن السياسة التي انتهجها حكامها من أجل تأمين وجدهم واستمراريتهم على الأراضي الإسلامية، وإبراز الدور الذي أدته دولة القراخطا في تشكيل الخارطة الإسلامية وصياغة الأحداث السياسية والعسكرية في المشرق الإسلامي، وإبراز النواحي الحضارية لبلاد تركستان وما وراء النهر في ظل حكم دولة القراخطا، واستخلاص النتائج المترتبة من قيام دولة القراخطا في العالم الإسلامي .

و **تنقسم هذه الدراسة** إلى مقدمة وتمهيد و أربعة فصول و خاتمة وجاءت على النحو الأتي

التمهيد و يشتمل على مبحثين : الأول يختص بدراسة المنطقة المعنية دراسة جغرافية مع تحديد أهم مدنها خاصة تلك التي كانت مدار التصادمات العسكرية والنزاعات السياسية، أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه الباحثة أهم الأحداث التاريخية التي مرت بها بلاد ما وراء النهر وتركستان في فترة الحكم الإسلامي التي سبقت فترة الدراسة .

وقد تناولت الدراسة في الفصل الأول الذي كان عنوانه (قيام دولة القراخطا في تركستان وبلاد ما وراء النهر) التعريف بالقراخطا و أوضاعهم السياسية والثقافية قبيل قيام دولة القراخطا في تركستان وما وراء النهر، كما تناول هذا الفصل جذور العلاقة التي جمعت هذه القبائل مع العالم الإسلامي قبيل تأسيس دولتهم، ثم سلطت الضوء على شخصية يلو داشي مؤسس القراخطا والعوامل السياسية التي أثرت فيه وأسهمت في هجرته من الصين إلى تركستان، وفي ختام هذا الفصل تناولت الدراسة قيام دولة القراخطا والأحدث المصاحبة لظهورها .

أما الفصل الثاني الذي كان عنوانه (علاقة دولة القراخطا السياسية بالقوى الإسلامية المجاورة) فقد تناولت فيه الدراسة العلاقات السياسية لدولة القراخطا مع القوى الإسلامية المجاورة لها (السلاجقة والخوارزمية والغورية)، والتي اتسمت بالازدواجية والتناقض فيما بين السلمية والعدائية، و كانت تحكمها المصلحة العليا لدولة القراخطا .

أما الفصل الثالث وعنوانه (سقوط دولة القراخطا) فقد تناولت فيه الدراسة أهم العوامل والظروف التي أسهمت في زوال دولة القراخطا، وانقسمت تلك العوامل إلى قسمين: عوامل داخلية نابعة من الأراضي القراخطويَّة وعوامل خارجية أسهمت فيها القوى المجاورة لها (الخوارزمية والنيمانية والمغولية) و ساعدت في قيادتها إلى نهايتها المحتومة .

أما الفصل الرابع الذي كان عنوانه (المظاهر الحضارية في بلاد تركستان وما وراء النهر في ظل حكم القراخطا) فقد تناولت فيه الباحثة أهم ملامح الأوضاع الثقافية لبلاد تركستان وما وراء النهر في ظل حكم القراخطا الوثني بجميع جوانبها الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية.

وقد اختتمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة .

وقد اتبعت الدراسة في تناولها لأحداث هذا البحث منهج البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من مصادرها الأصلية ومراجعها الحديثة، والتأكد من مصداقيتها بالبحث والاستقصاء، وعرضها لمنهج النقد التاريخي بهدف الوصول إلى أصدق الوقائع التاريخية واستخدامها بطريقة علميه، ولم تكتفِ الباحثة بإيراد النصوص التاريخية من مصادرها الأصلية فحسب بل اتبعت المنهج التحليلي التاريخي القائم على الاستدلال والبرهان والموضوعية بهدف إظهار الحقيقة التاريخية كما هي .

وقد اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر الأصيلة المتنوعة، وكان من أهمها :

أولا : المصادر التاريخية

1- **الكامل في التاريخ**

ينسب كتاب الكامل في التاريخ إلى المؤرخ عز الدين علي بن الأثير الذي عاش معظم أيام حياته في الموصل تحت رعاية حاكمها الأتابك بدر الدين لؤلؤ، وعاصر هذا المؤلف الفترة العصيبة التي شهدها العالم الإسلامي، فكان معاصرًا لأحداث الاجتياح القراخطوي والصليبي والمغولي، ومنها يكتسب مؤلَّفه قيمة كبيرة خاصة فيما يخص أحداث هذه الدراسة

وبالرغم من قربه زمنيًّا من أحداث قيام دولة القراخطا إلا أنه كان بعيدًا مكانيًا عن تلك الأحداث التي تقع في أقصى المشرق الإسلامي، وقد اعترف ابن الأثير ذاته بذلك العجز، ومع ذلك لم يفقد الكتاب قيمته العلمية؛ فقد كان ابن الأثير يسجل أحداث ذلك الجزء من شهود عيان سواء أكانوا تجارًا أم أصدقاء له واعتمد أيضًا على مؤلفات تاريخية معاصرة وقريبة من الحدث، ومنها (كتاب مشارب التجارب) للبيهقي الذي اعتمد عليه فيما يخصُّ أحداث الدولة الخوارزمية .

ومما يميز كتاب ابن الأثير أنه لا يعتمد على رواية واحده بل يذكر جميع الروايات والآراء التي تحصَّل عليها دون التفضيل بينها في حالة عدم ثبوت صحتها، ومنها روايته لأسباب قيام معركة قطوان والعلاقات العدائية وأحداث الصراع بين السلطان تكش الخوارزمي وأخيه سلطان شاه وعلاقتهما بالقراخطا، وفي الحقيقة يعدُّ كتاب ابن الأثير من الكتب القيمة التي اعتمدت عليها الدراسة؛ فقد انفرد ببعض المعلومات التي لم تجد الباحثة لها مثيلًا في المؤلفات الأخرى، ومنها الأحداث المتعلقة ببداية ظهور دولة القراخطا .

2- **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**

قام بتأليفه شهاب الدين محمد النسوي المنشي الذي ولد في إحدى قلاع خراسان المنيعة القريبة من مدينة نسا التي ينتسب إليها محمد النسوي، وقد التحق النسوي بخدمة جلال الدين منكبرتي الذي عهد له بوظيفة كاتب الإنشاء، ثم تولى منصب الوزارة وكان يحظى بمكانة عالية لدى سيده جلال الدين وقد ظلّ ملازما له حتى آخر أيامه و توفي عام 639هـ/241م .

وكما هو واضح من عنوان الكتاب أنه أُلّف بهدف توثيق حياة آخر سلاطين الخوارزمية السلطان جلال الدين منكبرتي، ومع ذلك لم يقتصر كتابه على سرد حياة سيده بل استهل كتابه بذكر أخبار المغول منذ أن كانوا في موطنهم الأول حتى وصولهم إلى المشرق الإسلامي، ثم تحدث عن الدولة الخوارزمية في عهد علاء الدين محمد، وللأسف فبرغم قرب النسوي من أحداث سقوط دولة القراخطا إلا أنه لم يعتنِ بتوثيق أخبارهم ولم يذكر إلا إشارة مقتضبة عن العلاقة التي جمعتهم مع الخوارزمية، وقد استفادت الباحثة من كتابه في وصف أوضاع بلاد ما وراء النهر في عهد حكم الخوارزميين لها، والتعاون الذي تم بين القراخانيون وعلاء الدين محمد في استقلال بلاد ما وراء النهر عن النفوذ القراخطوي .

3- **تاريخ بخارى**

وهو كتاب قديم عن أصل عربي لم يصلنا بعد وقد وصلتنا النسخة الفارسية منه، والأصل العربي كان يعرف بتاريخ بخارى أو أخبار بخارى، وهو الكتاب الذي ألفه أبو بكر محمد النرشخي الذي انتهى من تأليفه عام 322هـ/943م وقدمه إلى الأمير الحميد أبي محمد نوح ابن نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني، ثم قام أبو نصر أحمد القباوي بترجمته إلى الفارسية وانتهى من ترجمته سنة 522هـ/1128م بعد أن اختصره وزاد عليه ما رآه نافعا مفيدا، ولم تصلنا هذه الترجمة أيضا .

ثم لخص مجهودات القباوي محمد بن زفر بن عمر وكتبها باللغة الفارسية وأتمها عام 574هـ/1178م وقدمها لحاكم بخارى برهان الدين عبد العزيز بن مازة، وقد أضيفت على هذا التلخيص أحداث لم تحدث قي عهد محمد بن زفر تخصُّ علاء الدين محمد الخوارزمي والاجتياح المغولي، ولا شك في أنَّ العمل الثالث الذي قام به محمد بن زفر بن عمر على الكتاب، والعمل الرابع الذي قام به الشخص المجهول قد قدما معلومات قيمة سياسية وحضارية أفادت الدراسة لمعاصرتها. ولهذا ستعمد الباحثة إلى الإشارة لاسم صاحب الإضافة على نص النرشخي الأصلي في الحاشية للتمييز بينها .

4- **طبقات - ى - ناصرى (Tabkāt-i-Nāsirī)**

وهو من تأليف القاضي منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني الذي توفي سنة 660هـ / 1262م ويعدُّ هذا الكتاب مؤلَّفا في التاريخ العام الذي اختص بالأسر الحاكمة في قارة آسيا، وكان الجوزجاني من أحد كبار موظفي السلاطين الغوريين، وعلى الرغم من أنه لم يكن معاصرًا للأحداث التي تخص الرسالة إلا أنه كان ينقل أحداثها عن طريق والده الذي كان من كبار موظفي سلاطين الدولة الغورية

ويعد كتابه من الكتب القيمة التي أفادت الباحثة خاصة فيما يخصُّ تاريخ الغوريين؛ لاطلاعه الواسع على ما يخص بشؤون هذه الدولة، وقد ألف الجوزجاني كتابه باللغة الفارسية، وقد استخدمت الباحثة النسخة الإنجليزية منها لعدم إمكانية توفير النسخة الفارسية، وقد قام المستشرق المجري (هـ . ج رافرتي) بترجمته إلى الإنجليزية و أضاف إليه معلومات قيمة أثبتها في حواشي الكتاب، وهي معلومات قيمة أفادت الباحثة .

5- <u>تاريخ جهانكشاي</u>

مؤلف هذا الكتاب هو علاء الدين عطا الملك بن بهاء الدين محمد الجويني (ت 681هـ/1282م) وهو سليل أسرة فارسية عريقة استعان بها المغول في حكم فارس بعد غزوات جنكيز خان، وكان الجويني يحظى بثقة هولاكو الذي أوكل إليه حكم العراق العربي .

ويعدُّ كتاب الجويني من الكتب القيمة التي أفادت الرسالة؛ إذ كان ينقل فيما يرويه من الأحداث التي تخصُّ القراخطا وعلاقاتهم بالعالم الإسلامي من بعض أقربائه الذين عاصروا تلك الأحداث، ومنهم خال جدّ أبيه منتجب الدين بديع الكاتب أحد ندماء السلطان سنجر، وجدُّ أبيه بهاء الدين محمد بن علي الذي كان على اتصال بالسلطان الخوارزمي تكش، وكان الجويني ينقل بعض أخبار الخوارزميين عن كتاب (مشارب التجارب) للبيهقي، لهذا جاءت بعض رواياته فيما يخص العلاقات الخوارزمية القراخطويَّة مشابهة لابن الأثير.

وقد انفرد الجويني عن غيره من الكتاب المسلمين بروايات قيمة مما جعل كتابه من أهم الكتب التي تؤرخ لتاريخ القراخطا؛ فقد تحدث عن رحلة يلو داشي إلى تركستان و جاءت روايته مشابهة لما ذكرته الروايات الصينية مما يثبت صحة معلوماته، كما قدم معلومات قيمة عن ظروف سقوط دولة القراخطا مما أسهم بشكل كبير في إنجاز الفصل الرابع، ويعاب على الجويني تعاطفه الواضح مع الخوارزميين وانحيازه لهم وتغاضيه عن زلاتهم، وتحامله غير المبرر على الغوريين، وانتقاص دورهم البطولي في مواجهة القراخطا .

ثانيا : المصادر الأدبية

1- **طبائع الحيوان**

قام بتأليفه شرف الزمان طاهر المرزوي (توفي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي) الذي كان طبيبًا لدى البلاط السلجوقي، ويبحث كتابه (طبائع الحيوان) في جوهره في علم الحيوان، وقد عالج في القسم الأول من كتابه الأجناس البشرية والبلدان، ومن أقيم رواياته التي لها علاقة بموضوع الدارسة تلك المعلومات التي ذكرها عن بلاد الصين والترك وأجناسهم، فضلًا عن تحدثه عن السفارة التي بعث بها إمبراطور الليائو إلى بلاط السلطان محمود والتي أفادت الدراسة في تتبع جذور العلاقات الإسلامية الخطويَّة .

2- **جهار مقالة**

قام بتأليفه النظامي العروضي السمرقندي المتوفي عام 552هـ/1157م الذي كان معاصرًا لسلطان سنجر السلجوقي وكان العروضي من أحد خواص الدولة الغورية، وقد التحق بخدمتهم وكان بارعًا في نظم الشعر وماهرًا في فني النجوم والطب

واسم الكتاب الحقيقي هو (مجمع النوادر) لكنه اشتهر بـ (جهار مقالة) أي المقالات الأربعة لاشتماله على أربعة مقالات، وقد ألفه في حدود سنة 550هـ/1155م، ويعدُّ كتابه من أهم الكتب الفارسية التي عالجت جوانب من الحياة الأدبية والعلمية في القسم الشرقي من العالم الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري حتى منتصف القرن السادس الهجري، وبالرغم من الصيغة الأدبية للكتاب إلا أنه قدم معلومات تاريخية مهمة أسهمت في إثراء هذه الدراسة، ومنها وصفه لسياسة التسامح الديني الذي سلكها يلو داشي مع رعاياه المسلمين في بخارى .

3- **رسائل رشيد الدين الوطواط**

وكما يظهر من عنوان الرسائل فإنها تنسب إلى رشيد الدين الوطواط وهو محمد ابن محمد بن عبد الجليل العمري الملقب بالوطواط ولد ببلخ وتعلم بمدرستها النظامية ثم انتقل إلى خوارزم والتحق بخدمة خوارزم شاه أتسز و أيل أرسلان، ونال منزلة كبيرة عندهم و تولى رئاسة دار الإنشاء لمدة ثلاثين عامًا،

وكان أديبًا وشاعرًا وكاتبًا لـه مصنفات عديدة بالعربية والفارسية، و توفي عام 573هـ/1177م ورسائل الوطواط عبارة عن مجموعة من الرسائل التي أرسلها خوارزم شاه أتسز وابنه أيل أرسلان إلى الخلفاء العباسيين وحكام الأطرف، وقد كشفت هذه الرسائل عن العلاقات العدائية التي كانت تجمع أتسز بالسلطان سنجر، وعن علاقة حكام الخوارزمية بالقراخانيين أثناء حكم القراخطا .

ثالثا : الكتب الجغرافية

1 - **معجم البلدان**

وقد قام بتأليفه شهاب الدين أبو الفضل عبد الله بن ياقوت الحموي (ت 626هـ /1229م) وقد انتهى من كتابته سنة625هـ/ 1228م، و رتبه على حروف المعجم، ويعدُّ كتابه بحق من أقيم ما أنتجه التراث الإسلامي في علم الجغرافيا وبالرغم من اعتماده على المؤلفات القديمة إلا انه أضاف إلى كتابه معلومات جديدة قيمة كانت نتاج رحلاته العديدة لأقطار العالم الإسلامي، وقد اعتمدت عليه الدراسة في شرح بعض الأعلام الجغرافية التي وردت في الدراسة .

2- **آثار البلاد وأخبار العباد**

ينسب هذا الكتاب إلى زكريا بن محمد القزويني (ت 682/1283م)، ولد في بلدة قزوين ومنها جاء لقبه القزويني الذي اشتهر به، وهو ينحدر من أسرة عربية أصيلة استوطنت العراق العجمي منذ عهد طويل، وقد ربطتة صداقة بالكاتب والأديب ضياء الدين بن الأثير شقيق المؤرخ المشهور عز الدين، وقد تولى القزويني منصب قضاء مدينتي واسط والحلة في العراق في عهد الخليفة المستعصم، وظلَّ على منصبه حتى سقوط بغداد على يدي هولاكو .

ويعد كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد) من الكتب الجغرافية القيمة، وهو يبحث في الجغرافية الوصفية وما يتصل بها من علوم، ففيه وصف لأحوال البلدان وسكانها، وقد قسم كتابه إلى سبعة أقاليم، ناقش كل إقليم على حده، وقد استفادت الدراسة منه في الدراسة الجغرافية لبلاد ما وراء النهر وتركستان، وقدم أيضًا معلومات قيمة عن الحياة الثقافية في بخارى في زمن الحكم القراخطويَّ لها، وكذلك صور لنا الأوضاع الاقتصادية السيَّئة التي عانت منها بعض مدن ما وراء النهر من جراء الحروب التي نشبت بين السلطان علاء الدين محمد الخوارزمي مع كوشلوك خان النيماني .

وكان من توفيق الله عثور الباحثة على بعض المصادر الصينية التي تصدت لتاريخ القراخطا، ومن أهمها على الإطلاق كتابا ليائو شي Liao Shi وليائو كيو شي Liao Kuo Shi والذي يرجع الفضل إلى المؤرخ برتشنيدر Bretschneider في ترجمة أهم ما فيهما إلى اللغة الإنجليزية .

ويعدُّ كتاب (تاريخ الصين الاجتماعي : اليائو) History of Chinese Society : LIAO الذي ألفه ويتفوجل Wittfogel من الكتب القيمة التي أفادت الدراسة، وقد خصَّص كتابه لدراسة الأوضاع الاجتماعية والثقافية لدولة الليائو، وأفرد فيه مبحثًا خاصًا لتاريخ القراخطا، وتكمن أهمية كتاب ويتفوجل في اعتماده على المصادر الصينية الأصيلة ذات الصلة بتاريخ القراخطا، وقد استطاعت الباحثة من خلال هذا الكتاب التعرف على وجهة النظر الصينية حول بعض الأحداث التي تخص الدراسة

ولاتصال تاريخ القراخطا بالمغول فقد تمكنت الباحثة من الاطلاع على وجهة النظر المغولية حول بعض الأحداث التي تتصل بتاريخ القراخطا عن طريق كتاب (التاريخ السري للمغول) The Secret History of the Mongols الذي ألفه مؤرخ مجهول باللغة المغولية، ويبدو أنه ألفه من صميم التعاليم الشفهية المغولية الخالصة، وقام بهذه المهمة شخص مجهول، كان ذا صلة قوية بجنكيز خان وقد اعتمدت الباحثة على النسخة الإنجليزية لهذا الكتاب الذي قام بترجمته فرنس ودمان.

أهم الصعاب التي واجهت الباحثة في إعداد هذه الدراسة

وكشأن كل باحث فقد واجهت الباحثة بعض الصعاب التي لابدَّ أن يتكبدها كل من سلك هذا الطريق ومن تلك الصعوبات

تعدد المصطلحات والمسميات واختلافها من مصدر لآخر فعلى سبيل المثال استخدمت المصادر العربية مسمى الخطا لدلالة على الدولة المعنية دراستها في هذا البحث، في حين أن المسمى الدقيق لهذه الدولة هو القراخطا، وهي التسمية الشائعة لدى المصادر الفارسية الإسلامية التي ميزت بين قبائل الخطا التي في منشوريا و شمال الصين عن القبائل المهاجرة في تركستان بإطلاق مسمى القراخطا على القبائل التي استوطنت تركستان و بلاد ما وراء النهر، في حين أن المصادر العربية ذكرتهما بمسمى واحد وهو الخطا، ومن الواضح أن المصادر الفارسية هي أكثر دقة من العربية في هذا المجال فضلا عن معرفتهم بأخبار القبائل التركية والمغولية، ولقد اتبعت الدراسات الحديثة خطى المصادر الإسلامية الفارسية في التفرقة بين النوعيين وإطلاق مصطلح القراخطا على القبائل المهاجرة إلى تركستان .

شحُّ المصادر الإسلامية بالمعلومات المتعلقة بتاريخ القراخطا، فلم تقدم إلا معلومات سطحية مبهمة متناثرة بين ثناياها، مما تطلب من الباحثة جهدًا شاقًا حتى تصل إلى ما يخصُّ موضوع دراستها .

تناقض الروايات التاريخية واختلافها في الحادثة الواحدة مما تطلب من الباحثة تحري الدقة ومقارنة تلك الروايات فيما بينها وبين الأحداث العامة لتلك الفترة ؛بهدف إظهار الحقيقة التاريخية كما هي .

اقتصرت المصادر الإسلامية في روايتها لأحداث دولة القراخطا على جانب العلاقات السياسية التي جمعتها مع العالم الإسلامي، في حين أهملت الجوانب الأخرى، مما نتج عنه غموض تاريخ تلك الدولة وصعَّب الطريق أمام الباحثة لفهم العوامل والظروف التي شكلت علاقتها مع العالم الإسلامي، والتي لا يمكن التوصل إليها إلا من خلال الإلمام بتاريخ القراخطا الخاص، لهذا اضطرت الباحثة إلى الرجوع إلى الدراسات الأجنبية .

كان لاتصال دولة القراخطا بعدة ثقافات ودول مختلفة أثره في تفرُّق أخبارها بين عدة لغات صينية ومغولية وإسلامية (العربية ، الفارسية ، التركية) مما صعَّب على الباحثة الاطلاع المباشر على تلك المصادر لعدم إلمامها بتلك اللغات، مما اضطرها إلى الاعتماد على الدراسات الحديثة المعتبرة عند الدارسين التي نقلت عن تلك المصادر .

معظم تلك الدراسات غير متوفرة داخل أرض الوطن مما اضطر الباحثة إلى البحث عنها في الخارج مما ترتب عليه إهدار الكثير من الوقت .

وختاماً أسال الله العليّ القدير أن يكون التوفيق حليفًا لي في هذه الرسالة '' فإنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده : لو غيَّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبر، وهو دليل على إستيلاء النقص على جملة البشر'' العماد الإصفهاني .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

الباحثة .